

الادب العربي

الاستاذ سلامة موسى كاتب
مجيد ينزع الى التجديد والابتكار
وله آراء متطرفة في الدين والادب

وهو فوق ذلك ينتصر دائما للقومية وينادى بالدفاع عنها واشتهر ايضا
بانه من الذين يبشرون بما يعتقدون دون أن يهابوا بفضب الناس ،
يدلنا على ذلك اسلوبه الصريح الذي تظهر من الغموض والابهام
والمندفع الى الفكرة يصاول عنها ويحاول تحقيقها دون لبس ولا
التواء. والاستاذ سلامة موسى كما نعرفه جميعا مولع بالمجروح والاقترام
يود من صميم قواده أن ترتقى درجة التفكير بين مواطنيه وأن يكونوا
احرارا في ابداء آرائهم كما يجب ايضا أن يأخذ قومه بأساليب التجديد
وأف ينظروا الى الحياة بمنظار الجيل وأن يرفعوا عن اكتافهم عبء
التقاليد والقيود وأن يطلقوا الخود والجسود وهو لا يتحرج في بعض
الاحيان عن التنكيل بشخصية فذة « كالتنبي » في سبيل الدعاية
للاغراض التي بسطانها

وإذا ما اخرج الاستاذ سلامة موسى كتابا جديدا توقعنا قبل ان
تقرأه اننا سنظفر برأي جديد ونظرية حديثة وفكرة مبتكرة وما
أحوجنا في نهضتنا الحديثة الى كتاب مثله . وقد عالج نظرية النشوء
والارتقاء ولكن مصر التي تحيا حياة فيها الكثير من جلال الروحية
وعظيم الايمان اياسته والحمد لله فأنزل الستار على هذه المعتقيدات

وانغمر في الجلال الروحي والايان العظيم كما شاءت البيئة ، ولكنه
 كما قلنا وكما تقول حياته لا يعرف الهدوء ولا يطمئن للاستقرار واذن لا بد
 من مناجزة ولا بد من ابداء نائرات أن لم تكن في الدين فلتأخذ
 طريقها الى الادب وهذا ما وقع فعلا في الايام الاخيرة إذ جعل كاتبنا
 هدفه الادب العربي محاولا تفضيل الادب الغربي عليه واخذ يشن
 الغارة بمناسبة وبلا مناسبة ، وإلا فما علاقة مقابلة الباسل باشا لويلز
 بالمتنبي وشاعريه المتنبي ؟

يقول الاستاذان اشعار المتنبي لو ترجمت للانجليزية لما اعجب ويلز
 بببيت واحد منها ! بينما آثار ويلز تترجم للعربية فيوجد فيها القمارىء
 لذة ومتاعا وتعبيرا عما يخالج نفسه ويجول بخاطره وأظن انه ساق هذا
 للتدليل على عبقرية ويلز وقيمة افكاره ومثاقه الانجليزية ورضانة
 تعبيرا فاذا كان هذا ما أراد فاكبر الظن انه اخطأ في هذا القياس
 وكان يجب أن يمد ذلك من حسنات العربية فسهولتها واتساعها لترجمة
 وبلاغتها في الاداء وروعة تشبيهاتها وطلاوة استعارتها التي لا تحاكيها
 في شيء من ذلك لغة أخرى انجليزية أو غير انجليزية . هي التي
 جعلتنا نمجّب بما يقول ويلز واضرابه

والاستاذ يدعو صراحة الى نبذ الثقافة العربية فهل لنا أن نسأله
 كيف تقول هذا وأنت تتلمس آثار الفراعنة ؟ وكيف يتفق هذا
 مع ما تنادى به من الانتصار للقومية ؟ اليس اللغة أول عنوان القومية

ايكون محظ الشاعر المجيد المتنبي المنبذ والسعوة لاهماله لانه عاش في قرون بييدة ؟ أظن اننا لا نزال نذكر أن القومية الانجليزية والاخلاص للفن هما سر تفضيل الانجليز لشكسبير على الهند او عندي ان المتنبي لا يسأل عن أدبنا الحديث وركوده ونحوه و بطء سيره في اللحاق بالاداب الحديثة ولكن يسأل عن ذلك ادباء هذا الزمان ومنهم الاستاذ سلامة موسى فالتاريخ يقول والاثار تنطق والانتاج يتحدث ان الاقدمين لم يخلدوا الى السكنة ولكنهم ناضلوا وجاهدوا وتكفي مقارنة بسبطة آدابهم والآداب الاخرى المعاصرة لهم للحكم على تفوقهم وكتبهم مازالت في ايدينا شاهدة على ما قاموا به الادب والاخه من خدمات ولا نفالي اذا قلنا انه لو تأخر الزمان بالمتنبي لما قرأنا للاستاذ سلامة ان ويلز ومائة ويلز استطاعوا أن يبرزوا عليه ، أو لو تأخر الزمان باصحاب الرؤوس الملهمة والهمم العالية التي كانت تعيش « في القرون الماضية » لما كان الغرب وحده صاحب كل هذه الاختراعات بل كان اكثرها يحمل الطابع العربي واظن سيدي أول من يعلم بالتغيرات العظيمة والابتكارات الرائعة التي ادخلها العرب الذين كانوا « يعيشون في القرون الماضية » على كثير من الفنون والعلوم كالفلك والحساب والجغرافيا « كما انه لا ينسى ذعر الامة المتحضرة « جدا » فرنسا من الساعه التي اهداها الخليفة هارون الامبراطور شارلمان انى اميل الى القول بأن الادب والفنون تتأثر بعظمة الامة فمثلا

الادب العربي كان في أوج مجده عند ما كان للعرب السلطان الواسع
وتضائل حتى قرأنا انه في المؤخرة عندما تقلص السلطان واستكان
السكان الذين ينطقون بلغة الضياد الى الظل الاجنبي . وأنا ارجو من
الاستاذ أن يدانى على كتتاب واحد للمعاصرين الذين يفكرون بفكر
الثقافة الحديثة يشبهه أو يوازي كتابا كالعقد الفريد مثلا !؟

أن اللغة العربية قد استطاعت بفضل جهاد أبطالها الاوائل فرض
نفسها فرضا على كثير من البلدان وقويت على أن تنتشر وتغزو البلاد
الخاضعة لسلطان العرب وهذا ما لم تحل به اللغة الإنجليزية للآن واذن
فالعربية التي اتسعت حضارة باهرة وانتشرت في بلاد كثيرة كانت
على استعداد لمسايرة المدنية الحديثة لو وجدت عناية كعناية اصحابها
القدماء فاذا ما رأينا ان لفتنا قصرت ولم تتسع للفنون ولم تصلح هي
وآدابها لهذا الجيل فلنم أنفسنا واليك مثلا : أن ارض مصر تربتها
خصبة يشهد بذلك كل انسان فاذا أتى يوم قالوا فيه بتفاهة زراعتها
وتقص محصولها فالذنب ذنب الفلاح الجديد لا ذنب الارض القديمة

« * » « * »

والاستاذ سلامة موسى يحددنا عن جهاد ويلز رغم مرضه وفاته
أن في حياة « المتنبى » من الرفعة والشجاعة والعصامية وكثرة الحوادث
وتباين الاغراض بها ليس في حياة ويلز وعشرات من امثاله . وتعال
نستعرض حديث شعراء العربية عن الألم والحب والجمال والشفقة

والانسانية والطبيعية والدين وتقارن بينه وبين انتاج ويلز وقومه وانا زعيم بأن العربية ستخرج من هذه المقارنة مرفوعة الرأس ، وتعالى تتحدث عن رسالة الغفران وأثرها في الادب العربي وخيال صاحبها « القديم » ثم تخيل أن كاتباً غربياً « ويلزيا » أراد أن يتحدث عن اغراضها واتجاهاتها ويمرض اشخاصها هل يخرج لنا « قصة » أروع من قصة المعري وتصويره وعرضه للاشخاص ١؟

وما لنا نذهب بعيدا وامامنا دانتى وجهيمه ، لنوازن بين خيال هذا وذاك ولنسقط من الحساب أن ابا الملاء كتب قصته قبل جهيم دانتى ثم لننظر هل انتصر دانتى عليه ؟

وبعد فهل يأذن الاستاذ الفاضل ان أقول ان عظمة المتنبي وخلود اسمه وعمق رية للمعري وفلسفته ان ينال منها نقد كل كتاب هذا الجيل ، وهل يأذن أن أقول ان كسلنا وخمودنا وعدم تمكفنا من السير في أثر الادب الحديث وشعورنا بضعفنا حيال الشخصيات القديمة وتفكيرنا بأن خلودها يطوى في جناحه كل الاسماء كل ذلك هو السر في حنقنا عليهم وفي حسدنا لهم ! ولاكنهم كما قلت ستظل اسماؤهم مخلده وسند تطوى جميعا ويبقى « المتنبي » شاعر العربية وحكيمها والاستاذ يقول أن الملح هو كل شيء عند المتنبي وانا أقول لا ولاكنه جزء من كل وشيء من أشياء وهذا الجزء كان له شأن في الزمن الذي عاش فيه المتنبي اذ أن الملوك والامراء كانوا يرون ان

قصيدة مدح خير من فتح بلد وشأن المتنبي في ذلك شأن الكثير
من عباقرة العرب فلو تلمسنا جوانب حياتهم الأخرى ودرسناهم درساً
واقياً لالتصفت أفتهم لنا ولشهدنا لهم بالصبر والعمل والمثابرة على خلق
ملك عريض وحضارة عظيمة وآداب رفيعة وقد اضغمت تحت كل
ذلك بتقليدنا للغرب وانضوائنا في مدنيته وفناء قومياتنا في قوميته
بقي أن نتساءل اننا لانزال نذكر المتنبي رغم الف عام فليجازف
سيدي الأستاذ وايقل لنا أي كاتب حديث سيتحدث عنه الناس
بعد مائة عام وأي كتاب من كتب المعاصرين سيكتب له الخلود
بجانب كتب « القرون الماضية ؟ ثم ليذكر لنا كم من الفنون الرائجة
والبحوث المفيدة اوفيناها حقها من الاستقصاء حتى نضم الى فنونهم
وبحوشهم ؟ وكم وزنا للشعر زدناه على اوزانهم ؟ ان في الادب العربي
ثروة ضخمة مازالت بكرأ ما اصلحها للقصة التي ينادى بها الاستاذ
وننادى بها جميعاً وأن « الميثولوجية » العربية القديمة تزخر
بفكرات كثيرة لفن القصة التي قال الاستاذ بفقر الادب اليها وخذلو
العربية منها مع أنها تزخر بها مع تباين الآراء وعرض الشخصيات
ان في كل معالقة بل في كل قصيدة تعبيراً واقياً عن آلام الانسانية
وحفينا الى الطبيعة وقصة عاصرة بالحوادث والاشخاص والآراء . لا ينكر
ذلك الا صاحب غرض اوجاهل لا يتذوق الادب او من كان كالاستاذ المحترم
يحاول شحذ الهمم والعزائم واثارة المنخود ولوعلى حساب النابغين الامجاد

وسأعرض على القراء مقابله بين قصة مصرية تتحدث بها العامة
و بين اروع ما كتب ويلز

« قصة شعبية يؤلفها العوام تنفق في المعنى والدعوة والأنجاه مع
أروع قصص الفيلسوف ويلز »

ولا يعني هنا أن تكون قصتنا « الشعبية » واقعية أم كانت
مجرد خيال كذلك لا يعني أن يكون لها حظ من الانتشار بين
الطبقات المفكرة كما يتحدث بها العوام دائما ويلقنونها لأبنائهم إنما
يهمني أن أبرهن على أن لنا قصة لم نعرف للاسف واضمها تساوي
أروع القصص لويلز لنجدال على أن الغرب يعرف قيمة الآراء ويقدر
النبوغ وقد يكون المناسبة بعض الاثر في دفتي للاكتابة في هذا
الموضوع فنحن في شهر « الاسراء » والقصة تدور حوادثها نحو ذلك
كما ان مؤلفها يرمى الى الدعوة والدفاع عن صحة تصديق الاسراء
وهذه الدراسة تبين لنا اثر القصة وقوتها وتقدير خطرها في رؤوس
القدماء حتى استعانوا بها على نشر الدعوة الدينية كذلك أحب أن
اعلن أنني لا أتهم « ويلز » بالسطو على فكرة القصة الشعبية وأن
يكن الاتفاق وتوارد الخواطر يعلن عن نفسه ويكفيني أن يكون لنا
بل لقدماثنا ما لويلز من الخيال الرائع والفن الجميل والى القارسيه،
ناخيص وجيز للقصتين المصرية الشعبية والغربية لويلز واترك الحكم
له ، وللاستاذ الفاضل سلامة موسى عساه يؤمن معنا أن للادب القومي
روعة ولذة ممتعة كالادب الغربي سواء بسواء